تفسير إبن كثير

أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ۚ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

قال ابن عباس : كانوا يكرهون أن يستقبلوا السماء بفروجهم ، وحال وقاعهم ، فأنزل االله هذه الآية . رواه البخاري من حديث ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر ; أن ابن عباس قرأ : " ألا إنهم تثنوني صدورهم " ، فقلت : يا أبا عباس ، ما تثنوني صدورهم ؟ قال : الرجل كان يجامع امرأته فيستحيي - أو : يتخلى فيستحيي فنزلت : " ألا إنهم تثنوني صدورهم " .وفي لفظ آخر له : قال ابن عباس : أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا ، فيفضوا إلى السماء ، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء ، فنزل ذلك فيهم .ثم قال : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : قرأ ابن عباس " ألا إنهم يثنوني صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم " .قال البخاري : وقال غيره ، عن ابن عباس : (يستغشون) يغطون رءوسهم .وقال ابن عباس في رواية أخرى في تفسير هذه الآية : يعني به الشك في االله ، وعمل السيئات ، وكذا روي عن مجاهد ، والحسن ، وغيرهم : أي

أنهم كانوا يثنون صدورهم إذا قالوا شيئا أو عملوه ، يظنون أنهم يستخفون من االله بذلك ، فأعلمهم االله تعالى أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل ، (يعلم ما يسرون) من القول : (وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور) أي : يعلم ما تكن صدورهم من النيات والضمائر والسرائر . وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة :فلا تكتمن االله ما في نفوسكم ليخفى ، فمهما يكتم االله يعلم يؤخر فيوضع في كتاب فيدخرليوم حساب ، أو يعجل فينقمفقد اعترف هذا الشاعر الجاهلي بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات ، وبالمعاد وبالجزاء ، وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة .وقال عبد االله بن شداد : كان أحدهم إذا مر برسول االله - صلى االله عليه وسلم - ثنى صدره ، وغطى رأسه فأنزل االله ذلك .وعود الضمير على االله أولى; لقوله : (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) .وقرأ ابن عباس : " ألا إنهم تثنوني صدورهم " ، برفع الصدور على الفاعلية ، وهو قريب المعنى .